مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 09/ العدد: 01 / جانفي (2023) - ص 133-139

السيرة الذاتية وتداخلها مع الأجناس الأدبية الأخرى: دراسة في التأصيل والتشكيل

l'autobiographie et son chevauchement avec d'autre genres littéraires-une étude sur l'enracinement et la formation –

سامية بابا
said_anissa@yahoo.fr
جامعة الجزائر 2

تاريخ الاستلام: 2022/09/04 تاريخ القبول: 2022/12/13 تاريخ النشر: 2023/01/10

ملخص البحث

شهد العصر الحديث نظريات أدبية ونقدية تدرس الأجناس الأدبية ،هذه الأخيرة التي تنوعت وازدهرت في الساحة الأدبية ، باللغة الفرنسية " Autobiographie" جنس أدبي عرف تطورا في العصر الحديث ،لهذا طرحنا الأسئلة التالية : ماهي السيرة الذاتية ؟ وماهي علاقتها بباقي الأجناس الأدبية الأخرى؟ الجدير بالذكر السيرة الذاتية ككتابة عرفت منذ الأزل ،شأنها شأن السيرة " Biographie "والدليل على ذلك الآثار الأدبية الخالدة مثل :سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لإبن هشام .ذلك أنّ السيرة الذاتية كتابة لصيقة بالذات، أما الجانب النقدي :فنجده قد بدأ عند الغرب مع المنظر الفرنسي "فيليب لوجون" " Philippe Lejeune"والآخر "جورج ماي" " George May"، ومن ثمة انتقل المصطلح إلى العرب بأشكال متعددة كترجمة الذاتية وترجمة الشخصية، والسيرة الذاتية .

الكلمات المفتاحية : السيرة الذاتية، السيرة، القصيدة السير ذاتية، الاجناس الادبية، الجنس السير ذاتي

ABSTRACT:

L'époque moderne a vue des théories Littéraires ,et critiques qui étudient les genres littéraires, et dans la cour littéraire.et l'autobiographie c'est un genre littéraire se développer maintenant, pour cela nous nous sommes posé les questions suivantes :qu'est que c'est l'autobiographie ?et qu'elle est la relation entre l'autobiographie et autres genres littéraires ?comme l'autobiographie de nos prophète Mohamad, que Dieu le bénisse et lui accorde la paix, par ibn Hicham, car l'autobiographie c'est un écriture liée par l'âme, puis le côté théorique, il a commencé en occident par Philippe Lejeune et George May.

Keywords: l'autobiographie, la biographi , le poème autobiographique, les genres littéraires, le genre autobiographique.

لماذا السيرة الذاتية ؟:

شهد العصر الحديث تطورا ملحوظا في مجال الأجناس الأدبية ؛ووخاصة السيرة الذاتية ،ولهذا يتبادر للباحث الدارس سؤال جوهري لماذا السيرة الذاتية؟ السيرة الذاتية جنس أدبي حديث وذلك بشهادة منظري ونقاد الذين وضعوا النظريات المؤسسة له ،ولكن هذا لا يمنع من وجود ارهاصات هذا النوع من الكتابة منذ بدأ الخليقة لحاجة الإنسان لتعبير عن ذاته .فالذات الكاتبة تميل إلى تعبير عن مشاعرها ومكبوتاتها دون أن تدري ؛لهذه تظهر ملامح هذه الذات في أجناس أدبية أخرى :كالسيرة " la biographie" والرواية أيضا مما يدعوا إلى تحديد الإصطلاحي للسيرة الذاتية لمعرفتها وإدراك خصائصها وما يميزها عن الأجناس الأدبية الأخرى .وكيف تداخلت معها لتشكل أجناس أدبية وليدة .

1-1 السيرة الذاتية في اللغة :

يعني لفظ "السيرة " في اللغة : الطريقة أو السنة أو الهيئة وكثيرا مانسمع "سيرة رسولنا صلى الله عليه وسلم "أي سنته التي اتبعها في حياته .

ولقد ظهر مصطلح السرة الذاتية " l'autobiographie" سنة 1866 حسب معجم " لاروس" للغة الفرنسية ،وهو يعني : « حياة فرد ما مكتوبة من طرفه »[1].

2-1 السيرة الذاتية في الإصطلاح:

تعد السيرة الذاتية من أبرز أشكال الكتابة عن الذات ،وأشهر التعريفات هو تعريف فيليب لوجون " Philippe Lejeune" ؛فهو يقترح حدا في الكتابه الأوّل السيرة الذاتية في فرنسا «l'autobiographie en France»[2]سنة 1971مفاده:«السيرة الذاتية هي حكي استعادي نثري ،يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص ،وذلك عندما يركز عن حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة »[3]

وهذا الحد الذي وضعه عرف رواجا كبيرا في الدراسات في مجال السيرة الذاتية .

وهو يركز على أربعة عناصر:

- ✓ شكل الكلام: قصة حكي نثري.
- ✓ الموضوع المطروق:الحياة الفردية وتاريخ الشخصية.
- ✓ منزلة المؤلف:التطابق بين المؤلف والراوي.
- ✓ موقع الراوي :التطابق والشخصية الرئيسية .

هذه العناصر ليست خاصة بالسيرة الذاتية ،لذلك عمد " لوجون" إلى المقارنة بين السيرة الذاتية وباقي الأجناس الأدبية القريبة منها .كالرواية مثلا ؛وليس " فيليب لوجون" لوحده بل تجد " جورج ماي" في كتابه "السيرة الذاتية" أشار إلى العلاقة التي تربط الرواية بالسيرة الذاتية . ولكن الجدير

بالذكر أن "فيليب لوجون" بعد مرور إحدى عشر سنة من وضعه لهذا الحد ،والذي أطر به جنس السيرة الذاتية ،تجده يتراجع عنه معلنا عن حد آخر للسيرة الذاتية،في كتابه أنا أيضا moi aussi ،والذي صدر سنة 1986 ،وهو كالآتي :«السيرة الذاتية هي أثر أدبي ،رواية ،شعر، مقالة ،دراسة فلسفية ...إلخ يسعى من خلاله المؤلف بقصد مضمر أو صريح إلى حكاية حياته وعرض أفكاره ،وتشخيص إحساساته»[4].

وبهذا التعريف وسع "ف.لوجون" مجال السيرة الذاتية بعد أن ضيقه بالحد الذي وضعه،وقد أضاف عنصر جديد ،ألا وهو القصدية التي من شأنها أن تكون مضمرة أو صريحة .وأيضا حافظ "لوجون" على عنصر الحكي أي الطابع الإسترجاعي ،أما النقطة الجديدة التي طرأت فهي : الشعر عوض النثر الذي أصر عليه في التعريف الأوّل.

2. تاريخ السيرة الذاتية:

يرى النقاد ومنظري السيرة الذاتية ،وأبرزهم "فيليب لوجون" ،والذي يرى أن "الإعترافات" لجان جاك روسو(1712) هو أول عمل سير ذاتي في العصر الحديث حسي المقاييس التي وضعها ،ومعنى ذلك أنّ الغ

رب لهم حق السيق في الكتابة السير ذاتية فلهم حق السبق،وإذا كان "ف.لوجون" يرى الإعترافات النص المؤسس فإن "جورج غوسدورف" يعارضه في ذلك حيث يرى "أنّ الكتابة عن الذات هي حقيقة لا زمنية .فهي بالنسبة إليه قد قطعت قرونا لأنها حاجة أبدية للإنسان."[5] ويرى النقاد أنّ"لو نظرنا اليوم إلى سيرة روسو لما صدمنا بها كما صدم القراء الغرب منذ نصف قرن ،على أقل أننا لن نرى الأعمال القذرة كلها في سيرة روسو من فعله هو،بل كان منها ما هو من فعل غيره به،فقد روى روسو وقائع حدثت له في طفولته،فاعتدي عليه ،ولم تكن له حيلة في رد العدوان،فمعلمه في مهنة النجارة يضربه ضربا مبرحا ،حينما يكشف براعته في النحت .متهما إياه بمحاولة تزييف العقود ،كما أنه قدم شرحا مسهبا لمحاولة اللواط به من قبل شخص مراكشي ،وهو يرفض ،ولكن الأمر المثير أنه حاول أن يشكوا من هذا الأمر المشين الذي لم يكن يدري كنهه ،فحكى قصته لمشرف في الكنيسة التي كانوا يقيمون بها ،فإذا هذا الراعي يحكي له عن قصة شبيهة وقعت له ،وقال الراعي أنه لم يتألم منها ،وأنه لا داعي للخوف من الأمر ،وكلما علم بالأمر أحد رجال الكنيسة فإنه لم ينزعج للأمر .كان فضح موبقات المجتمع إذا واحدا من المؤثرات القوية في السيرة الإعترافية عند روسو وغير روسو ،وهو نفسه الملمح الذي أزعج "الأزهر" كثيرا في سيرة "طه حسين" كما هو معلوم"[6] . كما هو معلوم أيضا أنّ سيرة "طه حسين" بأجزاءه الثلاث ،تعد أوّل عمل عربي في العصر الحديث ،ويعود سبب اختياره كعمل تأسيسي لجرأة الطرح من جهة ،وصراحته وتقديمه للحقيقة من جهة أخرى ،وهناك أمثلة كثيرة في الساحة العربية الحديثة من بينها :سبعون لمخائيل نعيمة ،وأنا للعقاد ،وكتاب حياتي لأحمد أمين

،وغربة الراعي لإحسان عباس ،وكذلك خارج مكان لإدوارد سعيد ،إضافة على ذلك التي تاخمت مع حدودها " أجناس أدبية مختلفة ،وقد تعد في بعض الأحيان أصولا تاريخية الأنواع مثل (الملحمة /الخطابة/السيرة/الرحلة) وغيرها من أنماط السرد العربي"[7]

3-علاقة السيرة الذاتية بالرواية :

إنّ السيرة الذاتية جنس أدبي حديث ،لكن هذا لا يمنع من وجود هذا الجنس ،أو بوادر منه في الآداب القديمة ،وقد كان أكثر ارتباطا مع جنس السيرة ،والرواية في العصر الحديث ،هي واحدة من الأجناس الأدبية الني لها علاقة وطيدة بالسيرة الذاتية ،وهناك أنواع أخرى "أما العلاقة بين تلك الأنواع وبين السيرة الذاتية ،فعلاقة معقدة إلى حد كبير كشأن النشاط الإنساني بعامة ،بعامة ،ولكن يمكن يمكن إختزال تلك العلاقة في القول :إنّ السيرة الذاتية فن أكثر إستعابا ونضجا ووعيا بالذات من سائر من سائر الأنواع السابقة ،وأنها كلها بما فيها السيرة الذاتية أجزاء داخل فرع كبير من فروع الأدب يعني بالشخصيات الإنسانية ،ويهتم بالبحث عن ال(أنا) أو (الذات) ليفهمها أو ليثري ساحتها ،ويثري الإنسان بمختلف التجارب والعواطف."[8]

وهذه التجارب والعواطف يشترط النقاد في هذا المجال أن تكون حقيقية؛ وشأنها في ذلك شأن الشخص الذي يحكي قصته ،فهو له وجود خاص في واقع الحياة .أما في الرواية ففضلا لكونها جنس أدبي تخييلي انكب على دراسته العديد من المنظري والنقاد ،ووضعوا لها نظريات أدبية عديدة فإنها تتعالق مع السيرة الذاتية مشكلة أجناس أدبية وليدة ،كالسيرة الذاتية الروائية ورواية السيرة الذاتية ،وفي هذا يقول لوجون:أنّ رواية السيرة الذاتية قد استوعبت –بالتدريج- الأساليب الفنية نفسها الراسخة في عالم الأدب الروائي .كما يضيف –لوجون- أنّ رواية السيرة الذاتية في وقت نفسه ،تقترب من السيرة الذاتية بدرجة تجعل المرء يشك في وجود بين الجنسين."[9]و تختلف الرواية عن السيرة الذاتية في النقاط الآتية :

السيرة الذاتية	الرواية
• السيرة الذاتية بنيتها مغلقة ومنتهية • لا تمتد السيرة الذاتية في المستقبل،فهي حكي إسترجاعي تتمحور أحداثها حول الشخصية الرئيسية . • الأحداث والشخوص ذات مرجعية واقعية .	• الرواية بنيتها منفتحة على كل الأزمنة. • تصور حياة متطورة ونامية أي:يشهد القارئ أهم اللحظات في حياة الشخصية تتطور أمامه على صفحات الكتاب. • الرواية تعتمد على عنصر التخيل[10]

4- علاقة السيرة الذاتية بالسيرة :

استخدم مصطلح السيرة منذ القدم ،وقد عرفها في العصر الحديث الدكتور أنيس المقدسي بقوله :السيرة درس حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصيته"[11]،وهذا عدا كونها تتعلق بحياة الفرد ،فإنها جنس أدبي قائم بحد ذاته ،وهو من الأجناس القصص المرجعي ،كتب في إطاره عدد كبير جدا من النصوص في الثقافة العربية الإسلامية ،إبتداءا من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم عند "ابن اسحاق "و"ابن هشام" وفي الثقافات الأروبية ،حيث كان الأديب اليوناني بلوتارك (Plutarque)،والأديب الروماني سوريتون (suètone) من أوائل المبدعين في هذا الفن"[12] .فهذا الجنس قديم وعريق منه جاءت أجناس أدبية أخرى ،كالسيرة الغيرية والسيرة الذاتية، ويستعمل مصطلح السيرة الغيرية للدلالة على "الكتابة عن الشخصية من الشخصيات المعروفة على مستوى الفن وأدب أو الإجتماع أو السياسة أو أي مجال من المجالات التفوق الإنساني ....أو أما السيرة الذاتية فمتضمنة –على الإجمال –التعريف بهويتها ،إذ الإسم الذي يطلقه الإنسان كما كما يقول الفلاسفة –يخلع على كل الشيء هويته – غير أن هذا الإحساس بهوية السيرة الذاتية ،وأنها بخلاف السيرة الغيرية لايكفي ولا يشفى في بحث علمي ،بل لابد من التحديد الدقيق لإستعمال المصطلح عند الباحثين والنقاد."[13]

5- السيرة لذاتية والشعر:

يعتبر الشعر من الأنواع الأدبية القريبة للأنا الكاتية في تعبيرها عن خباياها ،فهي تعبر عن تلك الأنا في أرقى مستويات التعبير اليلاغي ،ولكن المتعارف عليه أن فيليب لوجون الذي أقر أن السيرة الذاتية جنس نثري نظرا لتوفر الشعر على السرد ، هذا الذي يسهل عملية الاسترجاع والعودة إلى الماضي في السيرة الذاتية ،هذه الأحيرة التي تمتزج بالشعر لتشكل لنا القصيدة السيرة الذاتية التي هي ممارسة إبداعية مهجنة من فنين أدبيين هما السيرة الذاتية والشعر ."[14]فالشعر لصيق من التعبير بالأنا لكن ليس لديه تتالي الأحداث الذي نجده في النثر ،لهذا أقصى "فيليب لوجون "الشعر من جنس السيرة الذاتية ،وذلك في الحد الذي وضعه لهذا الجنس الأدبي .

6- سؤال التأليف والتنظير للسيرة الذاتية:

إنّ المتأمل للساحة النقدية في مجال السيرة الذاتية ،يلاحظ فوضى في المصطلح شأنه شأن المجالات الأخرى ،"حيث يحفل مشهد الكتابة عن الذات في الأدب العربي الحديث بترسانة من المصطلحات المتعددة ،والمتنوعة الصياغة ،والتي تحمل مدلولا واحدا من قبيل الترجمة الشخصية ،السيرة الذاتية ،السيرة الذهنية"[15] ،والجدير بالذكر أنّ "الترجمة الذاتية "مصطلح مع بداية حركة الترجمة في السيرة الذاتية ،حيث أصدر يحي إبراهيم عبد الدايم [16]

وهو نفس ما نجده عند الناقد المغربي "سعيد علوش" الذي يترجم السيرة الذاتية في كتابه "معجم المصطلحات الأدبية "،إذ نجده يطلق مصطلح بيوغرافيا على أنّها تتحدد بالإشارات ثلاث المقتضبة :

- ✓ هي ترجمة ذاتية تلاحق حياة شخصية أدبية .
- ✓ فن ترجمة الحياة الأدبية .
- ✓ جنس أدبي يتقمص حياة الكاتب منذ طفولته إلى إكتمال نضجه الأدبي ،بقصد الإلمام بالمكنونات الأولى للكتابة "[17]،والمصطلح ذاته ورد في معجم المصطلحات لمجدي وهبة وكامل المهندس ، حيث يعرفان الترجمة الذاتية بقولهما :"سرد متواصل يكتبه شخص ما عن حياته الماضية "[18]،لكن مع مرور الزمن اندثر هذا المصطلح خاصة مع تطور حركة التنظير لدى الغرب ،وميلاد نظريات جديدة ،ومع حركة الترجمة تبنت مصطلح السيرة الذاتية عوض الترجة الذاتية وترجمة الشخصية ،وذلك كمقابل للمصطلح الأجنبي" Autobiographie "،ولعل أبرز الكتاب الغرب الذين ألفوا في هذا المجال "جورج ماي" وكتابه السيرة الذاتية : Autobiographie ،والذي ترجمه إلى العربية عبد الله صولة ومحمد القاضي [19] ،لكن مع مرور الزمن اندثر هذا المصطلح خاصة مع تطور حركة الترجمة لدى العرب ،من جهة وظهور نظريات غربية لعل أبرزها نظرية الميثاق السير ذاتي ل"فيليب لوجون" ،لهذا انتشر مصطلح السيرة الذاتية عوض الترجمة الذاتية،ليس هذا فحسب بل ترجمة الكتب ساعدت في انتشار دراسات نقدية في مجال السيرة الذاتية تتناول أعمال أدبية ببحث والدرس ونكاد نجزم أن هذه الدراسات قد استفادت من نظريات وكتب غربية ،وأبرزها كتاب فيليب لوجون الميثاق السيرذاتي " le pacte autobiographique "[20]،الذي ترجمه المغربي عمر حلي فصلين منه تحت عنوان الميثاق والتاريخ الأدبي،وواصل فيليب لوجون مسيرته التنظيرية من خلال جل حياته ليصدر كتابه الثاني الذي يؤكد فيه على نظريته :الميثاق السير ذاتي 2 علامات الحياة " le pacte autobiographique signes de vie"،[21] ،وكتب أخرى مثل السيرة الذاتية لجورج ماي ،وغيرها من الكتب التي أثرت المجال.

الاحالات

[1] فيليب لوجون ،السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ الأدبي)تر:عمر حلي ،ط1: 1994 المركز الثقافي العربي ،ص :10-11.

[2] Philippe Lejeune, l'autobiographie en France éd, Gallimard,1971 paris ,

[3] المرجع السابق ،ص:08

[4] Philippe Lejeune, moi aussi, éd seuil, paris,1986,p :11.

[5] توماس كليرك ،الكتابة الذاتية ،تر:محمود عبد الغني ،منشورات الموجة ط1: 2003 رباط ،ص:35.

[6] إبراهيم منصور ،السيرة في الأدب العربي،مصر العربية للنشر والتوزيع،ط1: 2011 ،القاهرة ،ص:10.

[7] محمود فراج النابي ،رواية السيرة الذاتية في مصر،الهيئة العامة لقصور الثقافة ،ط1 : 2011 ،القاهرة ،ص:21.

[8] أحمد بن علي آل مريع ،السيرة الذاتية ،مقاربة الحد والمفهوم ،دار صادر ،ط3: 2010 ،تونس ،ص:88.

[9] سامية بابا،مكون السيرة الذاتية ،دار غيداء ،ط1 ،2012 عمان،ص: 36.

[10] المرجع نفسه،ص37.

[11] أنيس المقدسي ،الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة ،دار الملايين ،ط1 ،1978 ،بيروت ،ص:547.

[12] محمد القاضي ،معجم السرديات ،الرابطة الدولية للناشرين المستقلين ،ط1، 2010 ،ص:257.

[13] أحمد علي آل مريع ،المرجع السابق ،ص:30

[14] حليل شكري الهياس ،قصيدة السيرة الذاتية في النقد الحديث والمعاصر مقاربة في نقد النقد ، عالم الكتب الحديث ،نينوى، العراق ،ط1 ، 2010 ، ص:10.

[15] محمد التوفيقي ،السيرة الذاتية في النقد الحديث والمعاصر ،مقاربة في نقد النقد ،عالم الكتب الحديث ،إربد، ط1 ،2012 ،ص:12

[16] يحي إبراهيم عبد الدايم ،الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ،دار النهضة العربية للنشر والتوزيع ،ط1: 1982

[17] سعيد علوش ،معجم المصطلحات الأدبية ،دار الكتاب اللبناني، بيروت ،ط1: 1985 ، ص:45.

[18] مجدي وهبة ، وكامل المهندس ،معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ،مكتبة لبنان ،بيروت ،ط2 :1984 ، ص:205 .

[19] جورج ماي : السيرة الذاتية ، تر: محمد القاضي ،عبد الله صولة ،دار الحكمة ،تونس ،ط1،

[20] Philippe Lejeune, le pacte autobiographique, seuil, paris 1975

[21] Philippe Lejeune le pacte autobiographique signes de vie, seuil, paris,2005